

ترجمة الشعر الغربي إلى العربية شعرا نماذج تطبيقية

من الشعر الإنجليزي والشعر الألماني

محمد امحمد بن طاهر

1. مقدمة

الشعر زورق يمخر شراعه خضم الألفاظ، يغوص على لآلئها، وينتفي شواردها، تتعانق في تراكيبه الكلمات، وتتخاصر فيه الصور، ويختصر الوقت، وتدوب فوارق الزمن، وهو رحلة مع الخيال، وطائر يضرب بجناحيه في فضاء رحب، وهو تغن بأنبيل العواطف، وأرق المشاعر، وشجو ربابة في ليال شتاء دكماء، وأمسيات صيف حار، وهو ربيع حالم، وتقلبات رياح خريفية، والشعر كما أراه:

الشعر نبع بالحروف تدفقا والشعر خمر شف حين تعتقا

والشعر موسيقى الحياة ولحنها والشعر طير للذرى قد حلقا

والشعر إحساس وفيض مشاعر والشعر نبض كالجنين تخلقا

والشعر أصوات تعانق روحنا والشعر خيط بالفؤاد تعلقا

والشعر إن تبغي التصور إنه مجنون ليلى للقاء تحرقا

في هذه الورقة، اخترت طرق باب ترجمة الشعر الغربي إلى الشعر العربي شعرا، نظرا لما للشعر ولغته من أهمية؛ فهي إلى جانب ما تمتاز به من تواد وتواصل بين الألفاظ في تراكيبها،

وفي احتضانها للسامي من الصور البيانية، وارتدادها العزيز من التراكيب؛ فإن فيها من الترويح على النفس، وإرضاء حب الاستطلاع والاطلاع ما لا يعد ولا يحصى.

واقترعت فيما أعرض من عمل، على لغتين، ومرجع ذلك قصوري، وعدم معرفتي غيرهما، وكذلك لأن كلتا اللغتين تتمتعان بتراث أدبي طبقت شهرته الأفاق، ولمع في أدبهما رجال سادوا عصرهم، ولا يزال صدى ما سطره يراهم يثير اهتمام البحاث، ويجذب أنظار الدارسين. فمن شكسبير، وبليك، إلى شيلر وغوته، وغيرهم من عمالقة الأدباء والشعراء ورواد التنظير المعرفي.

في هذا العمل، اكتفيت بالإشارة بدلا عن العبارة، فيما يتعلق بفلسفة ترجمة الشعر عموما، وترجمته شعرا، وما تلعبه الترجمات المختلفة من وإلى اللغة العربية، من دور في إظهار ما تكتنفه النصوص الشعرية من معان، وما يرافقها من ظلال، وما يعترئها من اقتراب واغتراب.

وعليه، فقد كانت هذه المقاربة، التي عنيت بإيراد نصوص منقولة عن لغاتها الأصلية لعمالقة الشعر الغربي، منها ما تدوول حتى بات معروفا، ومنها ما لا يزال رهين الأدرج والأرفف. غير أن الترجمة عن الإنجليزية لم تطل إلا رائعة (وليام بليك) (The tyger) (النمر) في ديوانه (Songs of Experience) (أغاني التجربة)، ورائعة كبير أساقفة كنتبري الحالي (روان وليامز) (He will come) (سيأتي). هذا فيما يتعلق بالترجمة عن اللغة الإنجليزية، وفيما يخص اللغة الألمانية، فقد وقع الاختيار على قصيدة (Maifest) (بهجة الربيع) إحدى روائع شاعر ألمانيا الأول (ولفجانج غوته).

وفي كلتا الترجمتين، حاولت المقاربة بين النظرية والتطبيق، ولم يكن بد من استدعاء المناسب من وجهات النظر؛ ومرد ذلك، لم يكن سوى ما يقتضيه المقام، ولأن قضية ترجمة الشعر، تبقى من بين أهم القضايا الآنية، والتي تقتضي النظر إليها بموضوعية، فقد كثر الاختلاف حولها حتى كادت أن تعصف ببعض المفاهيم الأساسية للسانيات، وما ذلك إلا لافتقاد ترجمة الشعر، لأسس متفق عليها من جمهرة أهل الاختصاص.

2. حدود البحث

في هذه الورقة، تمت الترجمة التقريبية لمعاني نصوص شعرية من لغات أجنبية، اقتصر فيها على لغتين هما الإنجليزية والألمانية، وفيها، التزمت بالمستقر من قوانين العروض العربي، مع بعض ما يمكن عده تجاوزا للمتعارف عليه من قواعد، مؤكدا أن للشاعر شرعية شاعريته، وأن له الحق في التنقل بين الواجب والمباح، في غير ما ضرورة.

3. مشكلة البحث

يسود الاعتقاد لدى بعض المعنيين بالترجمة، أن ترجمة الشعر، ليست ممكنة؛ لأن الشعر معان وأفكار، وترجمة الأفكار بعيدة المنال، وفي المقابل فترجمة الشعر - فيما أرى - ليست نقلا لأفكار، أو - بأي حال - طمسا للإبداع، وإنما هي في حقيقة أمرها، مقاربة وتقريب لمعان حواها نص معين، إلى لغة أخرى، فهي إبداع رائده العلم بكلتا اللغتين، وتوفر ما يلزم من أدوات.

وأنا أعد لهذا العمل لم يراودني أدنى شك، في أنه أكبر من أن يحاط به، وأن دروبه وعرة، زلت فيها أقدام، وكسرت فيها أقلام، ومع كل هذا وذاك لم أنثن، وقاربت فيما قدمت رؤى النص، وما اكتنفته من ظلال، محاولا تأكيد أن يكون لترجمة الشعر شعرا حضور وتميز.

ومن المهم أن أشير، إلى أن من بين دواعي الترجمة لكل من وليم بليك، وروان وليامز، وولفغانج غوته، ما يجمعهم من أصول فكرية، وما يتمتع به شعرهم من تنوع وأصالة، وإلى عمق تجربتهم الإنسانية، وخبرتهم الحياتية، والنظر إليها نظرة موضوعية، فقد كان الأول فيلسوفا ناسكا، والثاني قديسا متبتلا ورجل دولة بامتياز، والثالث أديبا رفيعا، وصديقا مدركا، وسياسيا لامعا. وجميعهم خبر الحياة، وعاش التجربة يافعا، فجاء شعرهم مليئا بالعبر، إلى جانب التقاطع الصريح بين ما ورد في القصيد موضوع الترجمة، من صور ورؤى تلتقي في معظمها مع مكونات الشعر العربي، ولا تتأى بعيدا عما عني به المبرزون من شعراء العربية.

4. الهدف

ليس من هدف وراء هذا العمل، إلا تجسيد الربط الطبيعي بين جوانب المعرفة اللغوية، فاللغة أيا كانت، وأنى كانت، هي حامل الفكر، وأداته، ووسيلة الاتصال المعرفي بين أمم الأرض، وعبر الترجمة يتم التواصل، وتنمو مفردات اللغة، ويتسع أفق الفكر اللغوي، وتزداد اللغة ثراء، وتزدان مفرداتها بالوافد الجديد، وفوق ذلك، تتنوع تركيباتها، وتتقاطع مع غيرها من لغات شعوب العالم.

وعلى الصعيد الخاص، تزداد قدرات المترجم، وتتسع مداركه، وتنمو لديه القدرة على الغوص بعيدا، واستخراج درر الألفاظ، ونظمها في عقود التراكيب لآلى تشد الانتباه وتسحر الألباب، وهذا ديدن الشعر وهجيره، وما اتفقت الآراء حوله، فهو الكلام المنتقى في النظم الرفيع.

5. المنهجية

فيما اخترت من نصوص، تم اعتماد الاستقرار منهجا، وأول ما بدئ به، القراءة المتأنية للنص قيد الدرس، والتواصل مع المتوفر مما أثير حول مكنونات صورته، ثم مقاربة إدراك التجليات الكامنة، وتصور المتصور من الصور، وصولا إلى المستحسن من نماذج تتقارب فيها الصور،

مع الحرص الشديد على الخصوصية التي يتميز بها الخطاب العربي، وتخص مخاطبه ومقتضيات أحواله.

6. الترجمة وأهميتها

الترجمة لا تزال من بين أمثل الطرق في إيصال ما يستجد من علوم، وهي إلى جانب هويتها الأدبية، فهي علم له أصوله وقواعده، يعتمد على ما يمكن قياسه بطريقة أو بأخرى، وأهميتها تنبع من الاهتمام الشامل للأمة، بجميع مناحي الحياة العلمية والاجتماعية، وهي في مفهومها العلمي: تواصل وتكامل، واستفادة مما لدى الآخر، ومحاولة لطرق باب الإبداع، "ولن يتأتى ذلك إلا بوعي كامل لتلك لأهمية، وترجمة ما يستفاد منها بوعي، والوعي المنشود هنا لا يملى على صاحبه أن يؤرخ لحركات الترجمة والمترجمين، أو أن يظن بأنه بمجرد أن أتاحت له فرص الاطلاع على أكثر من لغة، أصبح قادرا على خوض غمار الترجمة، متناسيا الأصل العلمي الخالد من أن الحكم عن الشيء فرع عن تصوره". (بن طاهر، 5)

1.6. أهمية اللغة في الترجمة

كثيرة هي الأعمال التي تشيد بأهمية اللغة في مجال الترجمة، غير أن بعض التكرار قد يعين على ترسيخ الأفكار؛ وعليه فلا أقل من تأكيد هذه الأهمية "فاللغة في جوهرها وسيلة اتصال تتم غالبا في بيئة اجتماعية؛ إذ إنه لا بد من وجود شخصين - على الأقل - كي تتم عملية التواصل اللغوي". (سعد بن هادي، 13)

والاطلاع على موروثات أي مجتمع، ومقاربة فهمها، يتم غالبا من خلال اللغة؛ ولذلك فاللغة من بين أهم مكونات الهوية، وهي إلى جانب ذلك، أداة التعبير عن حاجات الفرد والجماعة، وهي الوسيلة إلى تنمية ما لدى الفرد من أفكار وقدرات ذهنية، والإنسان بامتلاكه زمام لغة، أو أكثر، يكون قادرا على الإسهام في تحقيق التطور الفكري على مختلف الصعد. وعلى مر التاريخ كانت هناك صلات بين مختلف الجماعات البشرية، "وإزاء اختلاف هذه الجماعات في اللغة كان لا بد من وجود مزدوجي اللغة لتأمين التفاهم وتوطيده". (جورج موانان، 5)

2.6. تقنين الترجمة

تفاقت الصراعات حول مصطلح (ترجمة) واختلفت الآراء وتشعبت، ووصلت إلى التشكيك في أهميتها، وكثر فيها البحث، وتضاربت حول أهميتها الرؤى، ولم تنزل هذه الاختلافات مسيطرة

لاسيما في إمكانية ترجمة المتميز من النصوص الأدبية. وتفاديا لهذه الاختلافات يجب أن يكون المسعى حثيثا، غرض التوصل إلى وضع نظرية للترجمة، تتسلح بمبادئ لغوية، يمكن للمترجم من خلالها الوصول إلى نتائج أكثر دقة؛ ذلك نظرا لما تؤديه الترجمة من دور تواصلية بين مختلف الثقافات، بخاصة بعد التطور غير المسبوق والمتلاحق للثورة المعلوماتية، التي تعتمد اللغة أداة للتواصل، وعبرها يتحقق التبادل المعرفي، وتتم الاستفادة من معطيات العلوم المختلفة.

وعلى الرغم من وجود مدارس عنيت بإعداد المترجمين، إلا أنها في معظمها "تعلم الترجمة كمنشأ عملي، فلم تخرج من هذا التعليم نظرية في الترجمة، أو دراسة على الأقل للمسائل التي يثيرها البحث عن مثل هذه النظرية". (جورج موانان، 5)

وعليه، فإن تقنين ومنهجية الترجمة أمران في غاية الأهمية، يجب مراعاتهما؛ لأنه وإذا ما توفر للترجمة الارتكاز على أسس وقواعد علمية، فإن ذلك حتما سيوفر أرضية وقواسم مشتركة بين اللغتين والثقافتين.

7. ترجمة الشعر

الألفاظ بطبيعتها تعيش مع الناس، وتنتقل من جيل إلى جيل، وهي بانتقالها تكتسب دلالات اجتماعية وعلمية، يتم التعارف عليها، وقد يتسع مدلولها، أو يضيق ويتخصص. وإذا تعلق ذلك بترجمة الشعر عموما، فإن ذلك يحتاج إلى مرونة عالية، وعلم بأساليب النظم في لغتي المصدر والهدف.

هنا قد يتبادر إلى ذهن بعض المهتمين بشؤون وشجون الترجمة من العربية وإليها، ليقولوا: كان الأولى أن يترجم الشعر إلى اللغة العربية نثرا فنيا؛ ذلك لأن النثر الفني أقرب إلى المعنى المراد، وكذلك لأن لغة النثر الفني أيسر؛ غير إن ذلك وإن بدا مقبولا، فإنه يمكن القول: إن النص الأدبي عموما، والشعري منه خصوصا، لا يخضع التعامل معه - فيما يخص المعاني وظلالها - إلى ما يمكن عده قانونا أو قاعدة، وعليه فإن يترجم النص الأجنبي إلى العربية شعرا، أو نثرا فنيا، فإنه مما لم تتفق حوله الآراء، وكثيرا ما تباينت.

وعلى الجملة، وإن دار النقاش حول الترجمة عموما وترجمة النصوص الأدبية بالخصوص، حول محوري: الإخلاص للنص الأصيل (Source Oriented) والحرية لمصلحة النص في اللغة المترجم إليها (Target Oriented)؛ فإن كثيرا من الأدباء والنقاد، لم يتفقوا وتوزعوا حولهما: "فبينما يدعو الأديب الإيطالي (امبرتو أيكو) إلى الاتجاه نحو النوع الأول بقدر ما يملك

المترجم من أدوات، دافع الكاتب والمترجم الأرجنتيني (خورخي لويس بروخيس) ولمدة تزيد على السبعين عاما عن الترجمة (الإبداعية) التي يكون هامش الحركة المتاح للمترجم أكبر ما يكون احتراما للنص". (محمد قصيبات. 19-21) وفي أدبيات الدرس النقدي العربي ما يؤكد أن "مناطق الفائدة، ومتعلق الغرض من العبارة لا يجري على أسلوب الحقيقة في كل حال، أي أن المتكلمين لم يلتزموا إسناد الأحداث والأفعال لما هي له دائما، وإنما يتوسعون ويتجاوزون انطلاقا مع الخيال واستجابة للحس، وتأنقا في أداء المعاني" (محمد حسنين أبو موسى، 70).

إضافة إلى ما تقدم، فإن ترجمة معاني الشعر عموما، وترجمتها شعرا، تقتضي من المترجم التنبيه إلى النقاط التالية:

*. الاقتراب من نص لغة المصدر. وذلك بقراءة القصيدة، وتكرار قراءتها، وإعادة كتابتها، والتعرف على تراكيب جملها، وهيئة صياغتها، وما تضمنه النص من إشارات.

*. من المهم، وفي حالة الترجمة للأحياء من الشعراء، الوصول إليهم - إن أمكن - شخصيا، أو مراسلتهم كتابيا، والتعرف عليهم أكثر بسؤالهم عن ماهية شعرهم، وما هي أبرز المعاني التي رمزوا إليها، وهل وراء قصيدهم من تجارب مروا بها، كانت بمثابة الملهم. وعلى سبيل المثال: كان لي لقاء مباشر مع الدكتور روان وليامز، كبير أساقفة كنتربري الحالي، وبعد تبادل وجهات النظر حول عديد القضايا ذات الاهتمام المشترك، وبما أنه مهتم بالشعر وشجونته، حاورته حول الشعر وماهيته ومدعاة قوله، وسألته إمكانية ترجمة بعض قصائده إلى اللغة العربية، وبكل ترحاب لم يبد ممانعة ووافق شاكرا.

3. وفيما يتعلق بغير الأحياء، فالوظيفة لا شك أشق، إلا إن التعرف عليهم من خلال مدوناتهم وما كتب عنهم إجمالا، يساعد ويدعم صواب مقاربة معاني ما صاغته قرائحهم.

8. التعريف بالشعراء

1.8. وليام بليك (1757-1827) (William Black)

يعد أحد أبرز شعراء الإنجليز، ولد وعاش ومات في لندن، وكان "يمتاز بحساسيته العالية وتجاوبه الدقيق مع عناصر الطبيعة ومع معطيات عصره. وعلى الرغم من تأثيره العظيم على الرومانسية الإنجليزية فقد واجه تحديات كبيرة من تلك المدرسة أو الحركة أو من معاصري تلك الفترة. وقد نال (وليم بليك) حظا من التشجيع منذ نعومة أظفاره، فقد أرسله والده إلى مدرسة للرسم، وفي الرابعة عشرة أخذ يتدرب على يد الحفار (James Bassire) وبقي معه حتى عام 1778 ثم التحق بالأكاديمية الملكية، وبقي فيها حفارا بالرغم من تمرده على جوها الخانق". (عبد الله الطيب، 594-596)

The Tyger

Tyger, Tyger, burning bright

In the forest of the night.

What immortal hand or eye

Could frame thy fearful symmetry?

In what distance deeps or skies

Burnt the fire of thine eyes?

On what wings dare he aspire?

What the hand dare seize the fire?

And what shoulders, and what art,

Could twist the sinews of thy heart?

And when thy heart began to beat

What dead hand and what dead feet?

What the hammer? What the chain?
In what furnace was thy brain?
What the anvil? What dread grasp
Dare its deadly terrors clasp?
When the stars threw down their spears,
And water'd heaven with their tears,
Did he smile his work to see?
Did he who made the lamb make thee?
Tyger! Tyger! Burning bright.
In the forest of the night,

النمر

يا باهرا باللظى والليل معتكر * والغاب داج ولا نجم ولا قمر
والريح تغول والأنواء غاضبة * والعين منك شعاعا ثاقبا يُثِر
والكون من رهق ألقاك في صدف * حيث القيود ولا ناب ولا ظفر
والرأس من وهج تغلي مراجله * والروح ماجت فغاب العزم والفكر
والقلب منك وقد ريعت أو اصره * يا من يرى الحلم الأسيان ينفجر
لا رسف سلسلة لا وقع مطرقة * حتى الجوارح تدعوها فتعتذر
سبحان من كانت الأفلاك صنعته * فيها النجوم رماح شهبها تقرر
والغيث يسقي رياض الشعب واصله * والحمل يخضم بينا يقضم القدر

والخلق مختلف في وصف صنعته * جل الإله الذي سواك يا نمر
من لا يبالي وإن قدت أو اصره * حفت به جنة أم حممت سقر
يا باهرا بالظى والليل معتكر * والأفق داج ولا نجم ولا قمر

1.8. يوهان فولغانغ فون جوته

ولد في مدينة فرانكفورت في 28 أغسطس 1749، ومات في فايمار في 22 مارس 1832. من أشهر الشخصيات الأدبية في تاريخ الأدب الألماني والعالمي. كتب الأشعار والمسرحيات والروايات، واهتم إلى جانب الأدب بالعلوم الفيزيائية ، واشتغل بإدارة المسرح والتنظير له. تقلد مناصب سياسية في فايمار، ويعتبر هو وشيلر قطبي الفترة الكلاسيكية في ألمانيا التي كان مركزها في فايمار. (ويكيبيديا، 1)

في نهج الشعر، اتبع جوته اتجاه العاصفة والتيار الأدبي، والذي يتميز بأنه يقدم المشاعر والأحاسيس على كل الاعتبارات الأخرى، متمردا بذلك على اتجاه عصر التنوير أو عصر الدليل المادي، والذي لا يعترف إلا بالعقل، ويحث الإنسان ألا يؤمن بشيء، إلا إذا كان يمكن إقامة الدليل على وجوده، وبعد أن تخطى مرحلة الشباب إلى مرحلة النضج ترك اتجاه العاصفة والتيار إلى الكلاسيكية الذي يتميز ببساطة التعبير وعدم تكلفه. (هالة غازي، 2)

وقد تمكن غوته من دراسة العديد من الثقافات، منها الإيطالية والفرنسية والإنجليزية واليونانية، كما درس الأدب الشرقي متمثلا في الأدب الصيني والفارسي وخص اللغة العربية وأدبها بمزيد عناية. وفوق ذلك، فقد أحب رسول الإسلام - صلى الله عليه وسلم - ومثل حالة منفردة "إذ كان أكثر أدباء الغرب تأثرا بروح الإسلام وحبا للرسول الكريم، عليه أركى الصلاة والسلام، وهو حب يدلنا عليه أكثر من عمل

أدبي قدمه، بل إن بعضهم ذهب إلى القول: بأن جوته حين كتب رائعته (فاوست) أو (الرجل الذي باع نفسه للشيطان) كان متأثرا في كتاباته بها بقيم الإسلام التي توازن بين الروح والمادة، خلافا لحضارة الغرب القائمة على النظرة المادية والمذاهب الفقهية، التي يعد (فاوست) نموذجا وإفرازا لها، فهي حضارة باعت نفسها لشيطان المادة، وشيطان الحرية المنفلتة". (أسامة الألفي)

Maifest

Maifest

Wie herrlich leuchtet
Mir die Natur !
Wie glänzt die Sonne !
Wie lacht die Flur !
Es dringen Blüten
Aus jedem Zweig
Und tausend Stimmen
Aus dem Gesträuch
Und Freud und Wonne
Aus jeder Brust.
O Erd', o Sonne !
O Glück, o Lust,
O Lieb', o Liebe,
So golden schön
Wie Morgenwolken
Auf jenen Höhn,
Du segnest herrlich
Das frische Feld -
Im Blütendampfe
Die volle Welt !
O Mädchen, Mädchen,
Wie lieb' ich dich !
Wie blinkt dein Auge,
Wie liebst du mich !

So liebt die Lerche
Gesang und Luft,
Und Morgenblumen
Den Himmelsduft,
Wie ich dich liebe
Mit warmem Blut,
Die du mir Jugend
Und Freud' und Mut
Zu neuen Liedern
Und Tanzen gibst.
Sei ewig glucklich,
Wie du mich liebst !

بهجة الربيع

الصبح أسفر والنسيم شجاني * والطيير يشدو رائق الألمان

والزهر مزدان بباله الندى * وعلا الهضاب شقائق النعمان

والقلب مشتاق يعلله المنى * والورق تهدل والحبیب يداني

وعلى التلال يطوف ظل ربابة * حبلى بأهات الهوى الريان

والشعب مخضر تباركه السما * وعلى السفوح خمائل الريحان

وأنا المقيم على المحجة ناسكا * أهفو إلى من خامرت وجداني

وهي التي صدحت وغن بوصلها * صهب الجواثم في فضا الوديان

وهي التي ما انفك صادق حبها * يزكو على الأحداث والحَدَثان

3.8. روان وليامز

جمعتي والدكتور وليامز مناسبات الحوار مع الآخر، ونشأت علاقة سادها الاحترام المتبادل، وهي وإن لم تتوحد، إلا إنها كافية، في إنارة بعض معالم شخصية هذا العلم، التي يجمع في شخصه ما بين المتناقضات، فهو رجل دولة بامتياز، وأستاذ جامعي، وفيلسوف شاعر، إلى جانب أنه يشغل منصب كبير أساقفة كنتربري، وهي وظيفة وثيقة الصلة بالأسرة المالكة، وبسياسة وشؤون المملكة.

وهو ليس قسيسا فحسب، فإلى جانب اهتماماته الوظيفية، وجد من الوقت ما يكفي لقرض الشعر، وله فيما أعلم أربعة دواوين، وإن لم أطلع عليها جميعا، إلا إن فيما اطلعت عليه، تناول في قصيده أغلب أغراض الشعر، وعالج كثيرا من القضايا الإيمانية. تحدث عن عودة المسيح، وتحدث عن الطفل وأهمية تربيته التربية المثالية، تحدث عن المدرسة وأهميتها في التربية.

شعره تميز بالسلاسة والعذوبة، وسهولة التناول، واستعمال الألفاظ القريبة، وعدم الإبحار بعيدا في عوالم الغموض، فهو وإن كان فيلسوفا ومفكرا وعالم دين، إلا إن جذوره الويلزية، وحياته الأولى في تلك البقاع غلبت عليه، فجاء شعره مثالا حيا لما تتمتع به تلك البقاع من خضرة ونماء، وأريحية وشاعرية، وساد شعره - في العموم - الوصف الدقيق لما يتناوله.

ورغم انشغاله الدائم بمقتضيات ومتطلبات عمله، تراه حريصا على متابعة أخبار السياسة، ولديه مداخلات جريئة، في عالم يسوده الروتين وتغلب عليه الرتابة. هذه المداخلات، جرت عليه كثيرا من

النقد المبطن، وأحيانا المباشر، إلا إنه لم يبال، واستمر في الدفاع عن آرائه بخاصة فيما يتعلق بحقوق الأقليات التي تعيش في الغرب، وقد كان له رأي مهم في هذا الصدد، وهو مطالبته بأحقية المسلمين في التناضي في الأمور المتعلقة بالدين، استنادا إلى نصوص الشريعة الإسلامية.

He will come

He will come like last leaf's fall.

One night when the November wind, has flayed the trees to bone
and earth wakes choking on the mould,

the soft shroud's folding,

He will come like frost,

One morning when the shrinking earth
opens on mist, to find itself arrested in the net
on alien, sword-set beauty.

He will come like dark

One evening when the bursting red December sun draws to the sheet
and penny-masks its eye to yield the star-snowed fields of sky.

He will come, will come,
will come like crying in the night,
like blood, like breaking,
as the earth writhes to toss him free
He will come like child

سيأتي

إذا الشر يوما سرى وانتشر ** وعم الخراب قلوب البشر
سيأتي الضياء ليحو الدجى ** ويكسو الربيع غصون الشجر
سيأتي كراد شعاع الضحى ** يزيح الضباب، يجلي النظر
سيأتي لواقع فيها الغنا ** سيأتي عوارض فيها العبر
سيأتي يشق عنان السماء ** سيأتي مع الشجو عند السحر
سيأتي كومض السنا في الدجى ** سيأتي سريعا كلمح البصر
سيأتي كطل النداء في الربا ** سيأتي كغيث هما وانهمر

سيأتي لأرض عفاها الزمن** كصبح تنفس بعيد السمير
سيأتي ليبعث فيها الحياة** ويبرم أمرا به تزدهر
سيأتي رسولا بهدي الرسول** يقود الجموع يدك الدسر
سيأتي ليجمع شمل البرايا** بقول سديد ووحى أغر
سيأتي مغان، تزجي معان** سيأتي دعاء لشيخ صبر

.4

ي محراب القصيد المترجم

قبل ذكر ما التزمته حيال النصوص المترجمة عن اللغتين الإنجليزية والألمانية، تجدر الإشارة إلى أن التواصل الثقافي الذي نتج عنه فتنة بالشعر العربي لدى كثير من شعراء الغرب، لم يكن وليام بليك، وغوثة نشازا، فقد كان للشعر العربي مقام عند كليهما، وبدا ذلك واضحا في شعر غوته، إلا إنه مما لا يمكن الجزم به، تأثر روان وليامز بالقصيد العربي، أو قراءته له، على الرغم من تفهمه، ودفاعه عن الكثير من قضايا الأقليات المسلمة التي تعيش في الغرب.

والفتنة بالشعر العربي وعلى حد ما جاء على ألسنة رواد الثقافة العربية، ليس جديدا، فهذا (ت إس إليوت 1888-1965) قد تأثر في قصيدته (الأرض اليباب) (The Waste Land) بالشاعر العربي المخضرم (ليبيد بن ربيعة العامري) في معلقته المشهورة

عفت الديار محلها ومقامها * بمني تأبد غولها ورجامها

وإذا ما أمعن النظر فإن ما عنون له (إليوت) في قصيدته الأرض اليباب، يتوافق مع مطلع قصيدة لبيد، وهذا مما يقوي حجة من يرى أنه: "لا شك أن معنى هذا البيت يتفق في مضمونه مع قصيدة (إليوت) (الأرض اليباب)". (مع عبد الله الطيب39)، وإن كنت أرى أن التوافق مقصور على المطلعين.

ولم يقتصر تأثير (إليوت) واقتباساته على شعر (لبيد) وإنما تعداه إلى شعر الشاعر الأموي (ذي الرمة) الذي ترجمت أعماله إلى اللغة الإنجليزية، ونشر ديوانه بكمبريدج سنة 1919م، "ولعل (إليوت) قد لقي (مكارثني) الذي حقق الديوان". (مع عبد الله الطيب40)

وفي الحقبة التي عاش فيها (إليوت) كان الكثير من عيون الشعر العربي قد نقل إلى اللغة الإنجليزية، فقد نشر (تشارلز ليل) اختياراته الشعرية سنة 1885م، ثم في 1918م نشر ترجمة للمفضليات مع تعليقات ناضجة، وكذل حقق شرح ابن الأنباري للمفضليات، مما يعني أن الاتصال والتأثر بنسق الشعر العربي والاقتراب من معانيه لم يكن غريباً على ساحة الأدب الإنجليزي.

وفي مقام التأثر بالمنقول عن ثقافات الأمم الأخرى، فالتلاقح الفكري ليس محل استغراب، وليس من الضروري، أن تكون إشارات (ت إس إليوت 1888-1965) أو غيره، اقتباساً أو تضميناً، فشفافية الشخصية، والتجربة الإنسانية، من شأنهما صقل الموهبة، والارتقاء بها إلى عوالم المعرفة. وفوق ذلك، فالإنسان أياً كان إذا ما سما فكره، وصحت رؤاه، تمكن من أن يرى بأكثر من عين، ويبصر بأكثر من قلب.

ومن هنا، فإن قضية فتنة بعض أدباء الغرب، وتأثرهم بالشعر العربي مما ثار حوله الجدل قديماً، ولا يزال الحوار دائراً، ففي كثير من صور الشعر الغربي ما يشي بهذا الغرام، وفي رأيي، فإن الأمر في غاية البساطة، فالثقافة العربية، سمت خلال قرون عديدة على غيرها من الثقافات، ومن غير المعقول أن لا يصل صداها إلى شتى أصقاع العالم، خاصة إذا ما علمنا أن الكثير من علوم الإسلام وآدابه ترجمت إلى كثير من اللغات السائدة إبان تلك الحقبة من التاريخ الإنساني.

ما التزمته حيال النصوص المختارة من القصيد الغربي، يمكن إيجازه في النقاط التالية:

● اطلاعي على ترجمات مختلفة لنتاج كل من وليام بليك وولفجانج غوته. ومرد ذلك إلى الشهرة التي يتمتع بها كلا الشعارين، خاصة شاعر ألمانيا الأول، وصديق الإسلام والمنافع عن النبي - صلى الله عليه وسلم.

● خصصت ترجمتي، بما صح عندي من فهم وإدراك لنصوص المصدر.

● العلم بسيرورة الشعراء الثلاثة عموماً، والاطلاع على ما اختص به شعرهم، والإلمام بما ميز حياتهم، وما اختصت به بيئاتهم، كان له دور بارز في رسم معالم الطريق، وتسهيل مهمة الترجمة، خاصة فيما يتعلق بالدكتور روان وليامز، الذي جمعني به ظروف الحوار مع الآخر في أكثر من مناسبة.

- عدم اكثراتي بما تسود به الصحائف حول عدم جدوى ترجمة الشعر الأجنبي إلى العربية، ومن أنها خروج عن النص وخيانة له.
- ما تحمله تراكيب كل من بليك ووليامز من إشارات وتعابير كنسية، ورؤى لاهوتية، لم يقف حجر عثرة في إيجاد مخرج ونسج تراكيب توافقية تتناسب ولغة الهدف.
- شعر (وليم بليك) لم يكن موطن اتفاق بين دارسي الشعر، ولا بين المترجمين، فكل نظر من الزاوية التي ارتأها، وكل كاتب كان له فهمه الخاص؛ ذلك لأن الشاعر كان متعدد المواهب، وكان على درجة كبيرة من الغموض المفعم بتعدد المعاني وتنوع الصور البيانية، ومرجع ذلك إلى التنوع الذي كانت تمتاز به الثقافة في عصره. وكذلك الأمر بالنسبة لولفجانج غوته.
- إفادتي من معطيات النظرية اللغوية، في إفساح المجال أمام البحث عن المعاني البعيدة، المختزلة في طيات أبيات القصيد.
- * الوضع في الحسبان أن النقاش في ترجمة الشعر دار حول محورين مهمين هما:

الإخلاص للنص (Source Oriented)

حرية اللغة المترجم إليها النص (Target Oriented)

- شاعرية من اخترت من الشعراء، ساعدت على رسم الصور البيانية شعرا في اللغة العربية.
- من الأمور التي لا أنكر أنها كانت عاملا مهما في تجشمي الترجمة لبعض مما جادت به قرائح هؤلاء الشعراء، هو إيماني بأن الصور البيانية على اختلافها ليس مما تختص به لغة دون أخرى؛ فإذا توفرت الأدوات وصح العزم، فإن اقتحام أسوار النقل من لغة إلى أخرى حري بأن يكون نقلا مميذا.
- الدعوة إلى الإبداع، وكسر طوق التردد والخوف من ترجمة الشعر شعرا.
- فتح باب الحوار بين الأدباء واللغويين؛ لمحاولة رسم حدود للترجمة عموما وترجمة الشعر شعرا خصوصا، ومناقشة إلى أي مدى يمكن للمترجم الذهاب من أجل المحافظة على روح النص.
- إبراز أهمية اللغة العربية وعالميتها، وانتشار آدابها.
- تأكيد إمكانية أن تكون الترجمة إبداعا على إبداع.
- إمكانية الاستفادة من ترجمة روائع الشعر العالمي، في تقديم درس الأدب المقارن، وبيان أنه وإن اختلفت اللغات، إلا إن هناك من التقاطعات ما من شأنه إقامة جسر للتواصل والتكامل بينها.

10. خاتمة

في الختام، أمل أنني فيما قدمت من عمل، استطعت اصطناع أسلوب علمي، وبحث ملائم، بعيدا عن لي أعناق الألفاظ، واستصدار ما لا يمكن تخيله، وإن كنت لا أنكر مبدأ التأمل والتخيل، فهما أساسيان في بناء الفكرة اللغوية، ومن تم استشرف المعنى المراد.

ولقد حاولت جاهدا، توضيح بعض من مسارات الترجمة، مؤملا أن أكون قد أسهمت في إثراء البحث اللغوي، وفي ذات الوقت، قاربت حقيقة أن ترجمة الشعر عموما، وترجمته شعرا خصوصا، أمر ممكن؛ إن أحسن التعامل مع تقنياته، وأجيدت معطياته، وأن اعتبره مأزقا معرفيا وثقافيا غير مسلم.

وإذا سلمنا بأن الحاجة ماسة إلى التحليل النقدي العلمي والموضوعي لمفهوم التطور اللغوي، فإنه يجب علينا أن نحرز أنفسنا، وأن ن فك إيسار اللغة العربية، ونخلصها ممن يحتضنها حتى الاختناق، ونعي جيدا أن اللغة ظاهرة اجتماعية تنمو وتتطور كلما نمت الأمة وقوى شأنها، وأبرز ما هدف إليه البحث، يمكن تلخيصه في النقاط التالية:

- الاستفادة من معطيات الدرس اللغوي العام.
- عدم دفع أن الشعر الغربي قد فتن بمكونات الشعر العربي.
- الترجمة إلى اللغة العربية عامة، مما يجب الاهتمام بها، والنظر إليها على أنها مرحلة انتقالية، تعقبها مرحلة الاعتماد على الذات.
- ترجمة معاني الشعر قضية لا ينطبق عليها ما ينطبق على غيرها، فالشعر وصف للمشاعر، وتسجيل للأحداث، وتعبير عن الذات؛ وعليه فأمر ترجمته ليس مرحليا بل يعد أمرا ضروريا من أجل التواصل والتكامل بين اللغة العربية وغيرها من اللغات.
- صلاحية ترجمة الشعر شعرا.
- * الترجمة في ظل أي نظرية لغوية، لا يعني الدعوة إلى تقييد عملية الترجمة وتحديدها.
- مقارنة الترجمة لم يكن غير تقييم للجوانب الإبداعية في النص الأصلي، وعملا على نقل فحوى الرسالة إلى اللغة الثانية.
- الاعتماد من غير التزام مبدأ الأولويات، خاصة فيما يتعلق بالمقابل المعنوي، والمقابل الشكلي، والاتساق السياقي، والاتساق المفرداتي.
- إجمالا، يمكن القول: بأن وجود نظرية تحلل العمليات التي تمر بها الترجمة وتفسرها باستخدام المعايير العلمية، هو - بلا شك - أمر يساعد في عملية الترجمة؛ بشرط ألا نعتبر هذه المعايير قياسية أو مطلقة، وهكذا فإن أحد الأهداف المهمة لوجود نظرية للترجمة يتمثل في توفير وسيلة يمكن من خلالها مقارنة الترجمات المختلفة وتقييمها، ويتضمن ذلك استخدام المعايير العلمية بالإضافة إلى مهارة الشخص وموهبته الأدبية.
- إن المترجم وكما قيل: "لا يقوم بالمحاكاة وحسب، ولكنه يشارك المؤلف الأصلي في مسؤوليته في العمل الإبداعي والكتابة الإبداعية، وعليه أن يلجأ للاستراتيجيات المختلفة باستخدام حدسه الشخصي ومهارته وذكائه وغير ذلك من القدرات الفنية، وذلك من أجل الوصول إلى ترجمة جيدة". (الترجمة فن أم علم)

وفي الختام فإنني أرى أنه يحسن أن يسبق العمل بما تقدم من آراء حول شؤون ترجمة معاني الشعر،
وشجونها، وما يمت إليها من بعيد أو قريب، نوع من التوطئة لها بالدعوة والتجربة.

11.

وافد البحث

كتب

التعريب ونظرية التخطيط اللغوي. سعد بن هادي القحطاني. مركز دراسات الوحدة العربية. بيروت.
2002.

دلالات التراكيب دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني. محمد حسين أبو موسى. منشورات جامعة قار
يونس. بنغازي. ليبيا. 1986.

ذكريات ووقفات مع الأديب عبد الله الطيب. مصطفى عوض الله بشارة. مؤسسة أروقة للثقافة والعلوم.
الخرطوم. 2003.

المرشد إلى فهم أشعار العرب وصناعتها. عبد الله الطيب. مطبعة جامعة الخرطوم. الخرطوم. 1992.

المسائل النظرية في الترجمة. جورج موانان. تر: لطفي زيتوني. دار المنتخب العربي. بيروت. 1994.

مقالات

جوته مسلم مع وقف التنفيذ. هالة غازي.

مؤتمرات

المصطلح العلمي الأهمية والبرنامج. البشير الجبو، محمد امحمد بن طاهر. مؤتمر الترجمة والتعريب.

جامعة قار يونس. بنغازي. 1993.

الترجمة كما يراها الأديب: الأرجنتيني (خورخي لويس بروخيس). محمد قصيبات. مؤتمر الترجمة
الثاني المنعقد بأكاديمية الدراسات العليا. بنغازي. ليبيا. 19-21. 12. 2006.

صحف

صحيفة الأهرام القاهرية. 18.3.2008.

مواقع

موقع صيد الفوائد. الترجمة فن أم علم. محمد حسن يوسف.

ويكيبيديا، الموسوعة الحرة.